المحاضرة الأولى: معنى الفلسفة وخصائصها

١- تعريف الفلسفة، وتشمل:
أ- أول تعريف للفلسفة.
ب- تعريف طاليس للفلسفة.
ت- تعريف المستعربين والمستغربين للفلسفة.

٢- خصائص الفلسفة الإسلامية، وتشمل:
أ- فلسفة مهجنة.
ب- فلسفة إلهية الطابع.
ت- التفاعل الإيجابي والانفتاح.
ث- خاصية النمو والتجدد.
ج- تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم.
ح- الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية

معنى الفلسفة

أولاً: تعريف الفلسفة:

١- أول تعريف للفلسفة وصل إلينا هو أن الفلسفة تعني: (حب الحكمة) وهي مأخوذة من الأصل اليوناني (فيلو) وتعني الحب أو الرغبة، و (سوفيا) وتعني الحكمة.

٢- عرفها الفيلسوف اليوناني (طاليس) بأنها: (معرفة أصل الأشياء)، بمعنى أن الفلسفة تبحث عن أصل الكائنات ومصيرها.

٣- وعرفت أيضا بأنها: (مجموعة أفكار متناسقة ومنسجمة، تعبر عن أيديولوجيا معينة في جوانب مختلفة: أخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية ...، والايدلوجيا تعني: النظام الفكري المجرد لتفسير الطبيعة والمجتمع والفرد.

٤- وعرفها المستعربين أو المستشرقين من الغرب أو الشرق، المشتغلين بها والقائمين على تدريسها بأنها: (ذلك التراث الفلسفي الذي أفرزته القريحة الفلسفية الاسلامية، في فترة من أعظم فترات ازدهارها الحضاري، وتفاعلها الخصيب المفعم بالنشاط والحيوية مع غيرها من الحضارات العظمى، التي كانت آثارها سائدة آنذاك، خاصة الحضارة اليونانية).

والذي نخلص إليه مما سبق أن الفلسفة: (حب عميق في نفس الإنسان لمعرفة خفايا الأشياء وأسبابها).

ثانياً: الخصائص العامة للفلسفة الإسلامية:

الفلسفة الإسلامية وكما عرفت سابقاً، وهي الفلسفة المدرسية الأكاديمية التي تدرس في الجامعات في الوطن العربي والإسلامي وكثير من الجامعات العالمية، تتميز بالخصائص التالية:

١- **أنها فلسفة مهجنة:** ونقصد بذلك أنها مزيج من الأفكار الإسلامية واليونانية فالعرق الفلسفي اليوناني فيها أوضح من أن ينكره المنكرون، ولقد تأثر الفلاسفة الإسلاميون من الكندي وحتى ابن خلدون- آخر لمعة في العقل الفلسفي الإسلامي- تأثروا بدرجات متفاوتة بهذا العرق الفلسفي اليوناني.

٢- **فلسفة إلهية الطابع:** ونقصد بذلك أن مبحث الذات الإلهية وأدلة وبراهين وجود الله تعالى وكيفية الصلة بين الله والعالم من جهة، وبين الله والإنسان من جهة أخرى، وهذه الخاصية واحدة من أهم وأبرز مباحثها، ولقد خصص الفلاسفة الإسلاميون من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وأبي البركات البغدادي- رحمهم الله-، خصصوا صفحات كثيرة للكلام عن صفات الله تعالى وصلته بالوجود، ولعل أبرز مثال للجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية هو الغزالي- رحمه الله-، وكذلك ابن خلدون وإن جاءت فلسفته مزيجاً من الإسلامية والعلمانية المادية، برغم ادعاء بعض الدارسين أنها كلها ذات صبغة إسلامية خالصة.

٣- **التفاعل الإيجابي والانفتاح:** لعله من الخصائص التي تجعل من الفلسفة الإسلامية كائناً حياً شديد التأثير فيما حوله، تلك الخاصية الإيجابية التي تجعل منها كائناً متصل الجسور بالتراث الفلسفي الإنساني أينما وجد، ولئن تأثرت الفلسفة الإسلامية بالتراث الفلسفي اليوناني أكثر من غيره، فذلك للخصائص الذاتية لذلك التراث والتي تجعله مؤثراً أكثر من غيره، ونقصد بذلك خصائص العقلانية والعلمية والموسوعية، ولكن الفكر الفلسفي الإسلامي تأثر ايضاً بفارس والهند، خاصة في مجال علوم الرياضيات، وكذلك التصوف والفلك والأخلاق والفكر الفلسفي الديني.

وكما تأثرت الفلسفة الإسلامية بالحضارات السابقة لها، فإنها كذلك أثرت أبلغ الأثر في الحضارة الغربية التي جاءت بعدها، خاصة في مجال المناهج والعلوم، وفي مجال الفلسفة الاجتماعية والقانونية، وفي مجال الحضارة بوجه عام، وما ذلك إلا لأن روح الفلسفة الإسلامية روح علمية موضوعية، قال- ﷺ-: ((الحكمة ضالة المؤمن))، وجاء في الأثر: ((خذ الحكمة لا يضيرك من أي وعاء خرجت)).

٤- **خاصية النمو والتجدد:** فالخصائص السابقة وخاصة خصائص التجريبية والتفاعل الإيجابي الموضوعي والجانب الإلهي فيها تتيح للفلسفة الإسلامية مجالات كثيرة، واتجاهات شتى للنمو والتنوع، وعليه فليست الفلسفة الإسلامية مجرد تراث اكتمل نموه وتوقف تطوره، ولكنه كائن حي نابض، يستعصى على عوامل الفناء والجمود والاضمحلال، ولهذا السبب فإنه وبالرغم من الأفول المؤقت لحركة الحضارة الإسلامية في مجملها فقد ظلت الفلسفة الإسلامية تمتد وتؤثر، وكان امتداد تأثيرها في أوربا على يد أبي الوليد ابن رشد وابن خلدون مثلاً، في ظروف كانت الحضارة الإسلامية تمر فيها بمرحلة أزمة واضمحلال، وإن فكر ابن خلدون وفكر الغزالي خاصة في مجال الأخلاق والتصوف ما زال إلى اليوم يمتد تأثيره إلى بقاع جديدة من العالم، تشهد بذلك حركة الترجمة النشطة لأعمال الغزالي- رحمه الله- في كل لغات العالم يوما بعد يوم، كم تشهد بذلك الاهتمام المتزايد بالدراسات القرآنية والدينية الإسلامية في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية مؤخرا.

٥- **تعددية المناهج ومفهوم جديد للعلم:** لعله من الواضح الجلي لكل دارس متأنٍ للفلسفة الإسلامية أنها كانت تزخر بالجديد في مجال المنهجية من أول وهلة، يظهر هذا جلياً ضيق الكندي بنظرة اليونان إلى فكرة اللامتناهي، ومن هنا جاء رأيه الذي لا يكاد يعرف الكلل أو الملل في إعطاء الدليل تلو الدليل، لتناهي الزمان والمكان والأجسام والحركة والكون كله ... تناهي كل شيء في هذا الوجود، وهكذا افتقاره لعلة غير متناهية، لأن ما كان متناهياً كانت له بداية في الزمان والمكان وفي الجسمانية والمادية، ولذلك كان محدثا وليس أزلياً، وما كان محدثا لا بد له من محدث، وهو الله تعالى الأزلي المتفرد اللامتناهي في الذات والصفات والأفعال.

وبلغت هذه المنهجية- في التصوف الفلسفي- كمالها عند أبي حامد الغزالي- رحمه الله- وذلك في اعتباره أن: (ما يأتي من الحس الباطن المتحقق والذي لا يتناقض لا مع الشرع أو العقل أو الواقع) معرفةً أو علماً لدنيا يقينياً، ومفهوم العلم اللدني- بهذا المعنى عند الغزالي- إنما هو امتداد للغواشي النورانية عند ابن سينا والتي تنقدح في القلب متى أصبح كالمرآة المجلوة بعد الارتياض الصوفي الناجح.

ولكن الغزالي- رحمه الله- بالطبع وضعها على أساس متين من نظريته العامة في التصوف والأخلاق، وبين أصولها في القرآن والسنة، ضمن فلسفة نورانية قرآنية مكتملة الأركان متينة البنيان.

٦- **الانعطاف نحو العلوم الاجتماعية والإنسانية:** ومن خصائص الفلسفة الإسلامية هذا الاهتمام الواسع المترامي بالشؤون الاجتماعية والسياسية والإنسانية، ولا شك أن بذور هذا الاتجاه في الأخلاق والسياسة موجود أصلاً في الفلسفة اليونانية، ولكن وتعبيراً عن اهتمام الإسلام الكبير بالجوانب الاجتماعية والإنسانية، واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الفكر والدين والعقيدة، فإن الفلسفة الإسلامية ومنذ اهتمام الفارابي بالمدن الفاضلة وأضدادها من المدن الجاهلة والفاسقة والمتبدلة أخذت في إعطاء حجم أكبر للعلوم الإنسانية.

وجاء الغزالي- رحمه الله- وكان الجانب الأكبر من مجهوده الفكري والفلسفي متوجهاً إلى الإنسان والمجتمع، وإلى علوم الآخرة وهي العلوم الأكثر نفعاً في رأيه، وجاء اهتمامه ايضاً بالقلب وأحواله، وبالنفس وبالأخلاق والتصوف وعلوم الدين في إطار دينامي متوهج الحرارة في اهتمامه بمصير الإنسان ومصير النفس الإنسانية الأبدي، وأخذت العلوم النظرية تحتل مسافات أقل وأقل، وبينما أخذت العلوم الاجتماعية كفلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ والدين والأخلاق واللغة تأخذ نصيباً أكبر.

وختاماً: أن الفلسفة الإسلامية تمثل جانباً عقلياً مهماً من التراث الفكري الإسلامي، ويرتكز هذا الجانب في الفلسفة الإسلامية بوجه رئيسي في المنهجية التي انتهجها فلاسفة الإسلام، في بناء ذلك الصرح العظيم الذي شيدوه في شتى جوانب المعرفة والفكر، وعندما نقول: فلاسفة الإسلام فنحن نضم إلى هؤلاء ليس فقط الفلاسفة الرسميين من أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، ولكننا أيضاً نضم إليهم المتكلمين وبناة المنهجية العلمية الدقيقة، من أمثال: جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، والبيروني، والخوارزمي، ومئات الأسماء الأخرى من الذين أسهموا في إثراء التراث العلمي الإسلامي في شتى مجالاته، بل إننا أيضاً نضم إليهم فلاسفة النحو واللغة من أمثال: سيبويه، والخليل بن أحمد، والفيروز آبادي، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.

ما هو الفارق بين الهيلينية والهيلنسنية؟

وما هي ملامح الحضارة الهيلينية؟ وما هو الدور الذي لعبته الحضارة الإغريقية في نشر المسيحية؟

من أين جاءت كلمة (هيلينية)؟.. كلمة (هيلينية: Hellenism) جاءت من كلمة (هيلا: Hella)، وهو الاسم العُرفي الذي أطلقه اليونانيون القدماء على أنفسهم، فعُرفوا بِاسم: (الهيلينيين)، كما عُرفت بلادهم بِاسم بلاد (هيلاس Hellas)، وكلمة:(هيلينية) ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي، وهي تعبر عن الثقافة والحضارة اليونانية القديمة البحتة، فعندما غزا الإسكندر الأكبر بلاد الشرق وحمل معه هذه الثقافة والحضارة الهيلينية امتزجت هذه الحضارة بحضارات الشرق الروحية، وكان نتيجة هذا التزاوج بين الحضارتين الإغريقية والشرقية ولادة الحضارة (الهيلنسيّة)، ولذلك قال البعض بأن الحضارة الإغريقية مرت بمرحلتين: الأولى: المرحلة الهيلينية (هلينيك Hellenic) وهي الحضارة اليونانية الكلاسيكية وشملت بلاد اليونان، والثانية: المرحلة الهيلنستية (هلينستك Hellenistic) وشملت البقاع التي تألَّفت منها الإمبراطورية اليونانية.

وقد رفعت الثقافة والحضارة الهيلينية من قيمة الإنسان والإنسانية، كما ظهر في فلسفة سقراط وشعارها: (أعرف نفسك)، فالفلسفة الهيلينية فلسفة إنسانية محورها الإنسان، لا تنشغل بما هو ما وراء الطبيعة، إنما انشغلت بمشاكل الإنسان العويصة، وتم تهذيب الديانات اليونانية في ظل هذه الفلسفة الإنسانية، فبدلًا من تصوير الآلهة بأنها تتصارع وتتكالب فيما بينها، ظهرت الآلهة التي تتصف بالنبل والأخلاق الكريمة مثل كبير الآلهة: (زيوس)، ومثل: (هرقل)، ومن دراستنا لملامح الحضارة الإغريقية ندرك ما قامت به الثقافة الهيلينية من دور هام وبارز في دول حوض البحر المتوسط على مدار ثلاثة قرون لإعداد العالم لتقبل المسيحية ، فما صنعه الإسكندر الأكبر، وأكملته الإمبراطورية الرومانية من ربط العالم كله، ومد شبكة الطرق الضخمة، ونشر الأمان والسلام في ربوع العالم.. إلخ.، كل هذا يدخل ضمن الإعداد الإلهي لملء الزمان، ومن ملامح الحضارة والثقافة الهيلينية:

١ـ الانفتاح على العالم . ٢ـ اللغة الواحدة . ٣ـ شبكة الطرق. ٤ـ تقارب العبادات. ٥ـ المدن الإغريقية. ٦. الطبقيَّة . ٧ – الفَلَسْ الروحي.

١ـ الانفتاح على العالم:

فمع هذه الثقافة، اختفت الحدود والحواجز بين الدول، فقد قام (الإسكندر الأكبر) بمزج الحضارات معًا، فهو لم يكن قائدًا عسكريًا فذًا فقط، بل أنه تتلمذ على يد الفيلسوف اليوناني (أرسطو)، وكان عاشقًا للحضارة اليونانية التي تمثل قمة ما وصل إليه الإنسان، ولذلك بذل قصارى جهده ليشرك شعوب العالم في هذه الحضارة والثقافة الإغريقية، وسار خلفاؤه على ذات الدرب، وتواصل العمل من أجل وحدة العالم كله تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية التي توسعت في منح الجنسية الرومانية للعديد من المدن، التي صار لها نفس امتيازات روما، كما منحت الإمبراطورية الرومانية بعض المناطق الحرية في إدارة شئونها السياسية الدينية، وبلا شك أن هذا خفَّف من روح الصراع والكراهية والتنافس بين الشعوب المختلفة، كما أن نجاح الإمبراطورية الرومانية في صد الغزوات البربرية ساعد على حياة الاستقرار، وكل هذا كان له أثره الإيجابي في سرعة انتشار المسيحية.

٢ـ اللغة الواحدة:

صارت اللغة اليونانية لغة التفاهم في كافة ربوع الإمبراطورية اليونانية واستمرت هكذا مع الإمبراطورية الرومانية، وبالرغم من اللغة الأصلية لروما هيَ اللاتينية لكنها سمحت أن يتم التعامل الدولي باللغة اليونانية التي استقرت وأثبتت نجاحًا منقطع النظير، ففي أي مكان تذهب في أطراف الإمبراطورية تجدهم يجيدون اليونانية الشعبية، وبهذه اللغة كُتبت أسفار العهد الجديد كلها، فتلقفتها الأيادي في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

٣ـ شبكة الطرق:

أُنشئت شبكة طرق ضخمة تمهد الطريق للجيوش الرومانية لتصل إلى أي مكان، ولتربط العالم بروما، حتى قيل: **(أن كل الطرق تؤدي إلى روما)**، وساعدت هذه الطرق كثيرًا في تنشيط التجارة والانتعاش الاقتصادي وامتداد الحضارة وتنقل المواطنين من موطن إلى آخر، ولا سيما بعد القضاء على قُطَّاع الطرق والعصابات وقراصنة البحر الذين كانوا يسطون على السفن فيستولون عليها بما فيها ومن فيها، ويبيعون مستقليها عبيدًا، أما الإمبراطورية الرومانية فقد نجحت إلى حد بعيد في إرساء مبدأ سيادة القانون، كما أنشأت نظامًا بريديًا قويًا ومتقدم ساعد على تسهيل الاتصالات، ولا أحد ينكر أن هذه الطرق هيَ التي حملت أقدام المبشرين بملك السلام.. أو أليس هذا ملء الزمان؟!

٤ـ تقارب العبادات:

احتفظ الرومان بآلهة الإغريق مع تغيير أسمائها، فدُعيَ (زيوس) كبير الآلهة وأبو الآلهة لدى الإغريق (جوبتر) عند الرومان، و(أرطاميس) الإلهة العذراء دُعيت (ديانا)، و(أفروديت) إلهة الحب والجمال دُعيت (فينوس)، و(ديونيسيوس) إله الخمر والنشوة دُعيَ (باخوس).. إلخ.، وبهذا اندمجت الآلهة مع بعض كما انتشرت بعض الآلهة المصرية في الغرب تحت مسميات أخرى.

٥ـ المدن الإغريقية:

تم في بلاد الشرق بما فيها فلسطين تعمير بعض المدن وتجديدها على النظام الإغريقي، وأُعطيت المدن لقب (بوليس)، كما أُضيف اللقب لأسماء المدن القديمة، وأضيف لها مظاهر الحضارة الإغريقية من: جمنازيوم، وستاديوم، وأوديوم، وليكيوم، وأجورا، و(الجمنازيوم) هو المكان المخصص للألعاب الرياضية، و(الستاديوم) هو المدرج المفتوح لمشاهدة الألعاب الرياضية والسباقات، و(الأوديوم) مكان له سقف ومفتوح الجوانب به مدرجات للاستمتاع بالعروض المسرحية والموسيقى، و(اليكيوم) هو القاعة المخصصة للاجتماعات والمناظرات، و(الأجورا) هو الرواق

المخصَّص للاجتماعات السياسية وهو ملحق بإحدى الساحات، بالإضافة للأماكن الخاصة بسباق الخيل، ورمي القرص وقذف الرمح، وكانت تقام أربع دورات رياضية كبرى، وهيَ:

أ – الدورة الأوليمبية: في أوليمبيا تكريمًا للإله (زيوس) الأوليمبي.

ب – الدورة النيمية، في نيما تكريمًا للإله (زيوس) النيمي.

ج – الدورة الأسنمية: في أسثموس تكريمًا للإله (بوسيدون) إله البحار.

د – الدورة البيثية: في ألفي تكريمًا للإله (أبوللون) ابن الإله (زيوس): من الإلهة (ليتي).

٦. الطبقيَّة:

ساد الاستقرار السياسي في ظل الحضارة الإغريقية، لكن لم يكن هناك استقرار اجتماعي، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في مواضِع أخرى، لأنه ظهر في المجتمع طبقتين: **طبقة السادة الأرستقراطيين** الذين يتمتعون بالثراء الفاحش وعددها صغير، **وطبقة العبيد والأجراء والفقراء الكادحين** وهم الغالبية العظمى، وهم الذين يتحملون عبء العمل، بينما لم يكن من اللائق للرجل الروماني أن يعمل بيديه، فالعمل للعبيد الذين تضاعفت أعدادهم في روما نحو ثلاثة أضعاف الأحرار، وصاحب هذا انهيار القيم الإنسانية وانتشار الرذيلة، ولم تكن هناك ثمة حقوق تُذكر للمرأة، فدورها يقتصر على المنزل، وهيَ عديمة الأهلية القانونية، فلا تستطيع أن تدير أعمالها، ولا تُقبل شهادتها في المحاكم، ولا يُعتَرف بالعقود التي تبرمها، فهيَ دائمًا تحت وصاية الرجل سواء كان والدها أو زوجها أو أحد أقاربها، وسادت الدعارة، **وامتزجت بالطقوس الدينية الوثنية**، فمعبد (أرطاميس) كان به نحو ألف كاهنة تمارس العُهر المقدَّس مع رواد المعبد، ولعل ما سجله بولس الرسول في الإصحاح الأول من رسالته إلى رومية يعكس تلك الصورة المشوَّهة للمجتمع حينذاك الذي انتشر فيه التمييز بين الأحرار والعبيد، والرجال والنساء، وضاع حق الأطفال، حتى أنهم كانوا يسمحون بقتل الأطفال ذوي الحالات الخاصة، وسمحت شريعة (أسبارطة) للرجل بقتل ابنه الضعيف، فكانوا يلقون بهم من أعلى قمم الجبال، وقال الفيلسوف (سنيكا): (إننا

نُغرِق الأولاد المرضى والمشوهين والدميمي المنظر حتى لا تتعرض الدولة للخطر، وكذلك الأطفال غير الشرعيين أو أبناء المسنين أو الذين وُلِدوا لآباء أشرار فيجب تركهم عرايا لإبادتهم).

٧ – الفَلَسْ الروحي:

تصوَّر اليونانيون أن آلهتهم تعيش فوق جبل (أوليمبوس)، مثل البشر يأكلون ويشربون ويتزوجون وينجبون ويسعدون ويشقون ويتصارعون.. إلخ. فلا فرق بينهم وبين البشر إلاَّ أنهم خالدون، وهم يمثلون حكومة إلهيَّة يجلس على عرشها (زيوس) كبير الآلهة، وله تخضع كافة الآلهة والإلهات، ثم قيل أن اليونانيين قد تسلقوا جبل (أوليمبوس) فلم يعثروا على أحد من هذه الآلهة، فأحس الإنسان بمدى احتياجه للإله الحقيقي.

وأيضًا لم يجد الإنسان نفسه بين الفلسفات المختلفة، فلسفة (أرسطو) التي تدور حول ذات الإنسان، لم تشبعه، **والفلسفة الأبيقورية التي أسَّسها (أبيقور اليوناني)** (٣٤١–٢٧٠ ق. م) التي بُنيت على الاستباحة، فقال أبيقور: (أن الموت هو نهاية كل شيء، لذلك على الإنسان أن يعيش حياة اللذة والترف)، فأسلمت هذه الفلسفة أتباعها للمهانة والضياع الروحي، **أما الفلسفة الرواقية التي أسسها: (زينون)** (٣٣٥ – ٢٦٣ ق. م) الذي جاء من قبرص وعاش في أثينا، وأسس مدرسته الخاصة في منطقة Stoa Poikile، ومنها أُشتق اسم رواقي Stoa، فقد حكَّمت العقل وتمسّكت بالمبادئ الأخلاقية، حتى كان أهون على الرواقي أن ينتحر من أن يفقد احترامه لنفسه ولكرامته، ونادى الرواقيون بالمساواة بين العبيد والأحرار، ونال الرواقيون الاحترام اللائق للمجتمع، لكن هذه المبادئ الأخلاقية التي عاشوا بها لم تشبع أرواحهم الضالة بعيدًا عن خالقها، بالرغم من أن الفيلسوف اليهودي السكندري (فيلو) (٢٠ ق. م – ٥٠م) قال أن الأسفار المقدَّسة (للعهد القديم) والفلسفة الرواقية، كليهما ينتهي إلى نفس النتيجة فغضب منه اليهود.

وأيضًا من علامات الفلس الروحي ظهور (الديانات السريَّة) للتخلص من خوف الموت والسعي نحو الخلود من خلال ممارسة طقوس غريبة، ومن هذه الطقوس ما يشبه المعمودية، إذ يهبط

الرجل إلى خندق داخل أسوار المعبد وتسدل عليه شبكة، يذبحون فوقها ثورًا وينهمر دمه في الخندق، فيأخذ الرجل من الدم ويغمس سائر أعضائه، وهم يعتقدون أن حفرة الخندق تشير لمملكة الموت، ويمثل الثور الإله (أُتيس) ودماءه هيَ جوهر حياته الإلهيَّة، وعندما يخرج الرجل من هذه الحفرة فأنه يخرج مولودًا جديدًا ويُسقى لبنًا مثل المولود الجديد. كما كانوا يمارسون طقسًا آخَر وهو طقس (مأدبة القربان) ويشبه طقس العشاء الرباني.

ومهما اختلفت الديانات السريَّة في عقائدها وطقوسها، فالعامل المشترك بينها أن الإنسان يمثل عنصرًا إلهيًّا جاء من الإله (الروح) وسجن في سجن المادة (الجسد) لكي ما يتألم ويتعذب، فعلى الإنسان أن يسعى للتحرُّر والعودة للمصدر الإلهي من خلال بعض الطقوس الخاصة بالتطهير من الخطايا، والمشاركة في مائدة الإله، واختبار الموت والبعث مثل الآلهة التي تعرّضت للموت وبُعثت ثانية للحياة.

مقدمه عن الاستشراق

أولاً: مفهوم الاستشراق:

١- **الاستشراق لغة:** كلمة الاستشراق مأخوذة من الشرق، والشرق والمشرِق بكسر الراء وهو الاكثر، والمقصود به جهة شروق الشمس، فكلمة استشراق مشتقة من كلمة(شرق) وهي تعني ناحية شروق الشمس، والسين في الكلمة للطلب، أي: طلب ما في الشرق.

٢- **الاستشراق اصطلاحاً: عرف الاستشراق بتعاريف عدة من أهمها أنه:** دراسة يقوم بها الغربيّون لتاريخ وحضارة الشرق الإسلامي ولكل ما يتعلق: بدينهم وتراثهم، ولغاتهم، وآدابهم، وفنونهم، وعلومهم، وتقاليدهم وعاداتهم.

وإذا كان الاستشراق يستقطب هذه الصيغة، **فالمستشرق:** هو العالم الغربي الذي يدرس علوم الشرق، وكل ما يتعلق بدينه، وتأريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه وتقاليده، وعاداته.

ومصطلح الاستشراق يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، أي إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط كما قيل يقع في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدّد بالنسبة إليه، فلمّا انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالاّ على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط .

ويبدو أن مصطلح الشرق لم يقتصر على هذه الرّقعة جغرافيا فحسب، بل تجاوزها إلى غرب الجزيرة العربية، وشمال إفريقيا، وذلك بعد الفتوحات الإسلامية، فعدّت كل من مصر والمغرب وشمال إفريقيا وما تعرّب من سكان هذه الدول من الشرق، فشملها هذا الاسم باعتبار دينها الإسلام، ولغتها العربية.

ولا بدّ لدراسة علوم الشرق من أداة توصله إلى ثماره المنشودة وهذه الأداة التي يجب أن يتحصّن بها المستشرق: هي اتقان لغة الشّرق، والتخصّص بأبرزها آثارا في التأريخ والفنون والآداب والعلوم،

وهـي اللغـة العربيـة لا ريـب، لهـذا يـرى المستشـرق الألمـاني المعاصـر « ألبـرت ديتـريش » أن المستشرق: هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتّى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق.

من المفيد أن يعرف القارئ الكريم أن مصطلح الشرق يرجع في أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى أوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فقط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق.

وكما تخطّى مصطلح الشرق حدوده الجغرافية إلى غرب الجزيرة العربية وشمال إفريقيا، فقد تخطّى مصطلح الاستشراق الغربيين، وتجاوزهم إلى المستعربين بعامّة، ممن لم يعتنقوا الإسلام دينا، ولم ينطقوا بالعربية لغة، وكان من شأنهم أن بحثوا في تراث الشرق لغة وأدبا، وإن كانوا شرقيين، فشملهم هذا التعبير، وغمرهم هذا المصطلح، فعادوا مستشرقين.

وفي ضوء ذلك يصحّ لنا إطلاق الاستشراق الروسي على المعنيين بالشئون المشار إليها من قضايا الشرق الثقافية، وهكذا يقال الاستشراق الياباني أو الاستشراق الصيني، كما يقال الاستشراق الأمريكي أو الانكليزي جنبا إلى جنب.

لقد عاد الإسلام واللغة العربية مادة خصبة لموضوع الاستشراق، وطغت هذه المادة على ما سواها، ولقد قدّر للقرآن الكريم أن يحتضن الإسلام واللغة العربية بوقت واحد، حتى أضحى القرآن أغنى المواضيع عند المستشرقين على الإطلاق، فبحثوا جزئيّاته وكلّياته، وانصبّت بحوثهم الأكاديمية حوله بشكل يلفت النظر، ويستوقف الباحث.

وكما أطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن المفيد أن يعرف القارئ الكريم أن مصطلح

الشرق يرجع في أصل وضعه إلى مفكري الغرب، فهم الذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى أوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فقط فيطلق عادة على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق.

والذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو ما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط فقط أو المنطقة العربية بالذات، ذلك أن متابعة جهود المستشرقين خارج المنطقة العربية عمل فوق الطاقة الشخصية وليس ذلك داخلا في خطتنا من هذه الدراسة ولا يمثل ذلك هدفا لنا الآن، كما أن دراسات المستشرقين المتعلقة بشعوب العالم الإسلامي من غير العرب كالهند وباكستان وأندونيسيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا وأفريقيا، وكانت في معظم أحوالها تسير على نفس المنهج والطريقة التي كانوا يسلكونها في منطقة العالم العربي، وكان الهدف من محاولات المستشرقين وجهودهم في الدراسات التي قاموا بها في هذه المناطق كلها هو تطويق المد الإسلامي والعمل على انحساره ووقف نموه المطرد بين أبناء هذه الشعوب المتباعدة، وإن كانت أعمالهم تبدو في معظم أحوالها في ثوب علمي أو أكاديمي، فإن ذلك ينبغي ألا يحجب عن أعيننا نواياهم الخفية التي صرح بها معظمهم في المؤلفات والمؤتمرات العلمية التي كانت تعقد بين الحين والحين لهذا الغرض.

ثانياً: نشأت الاستشراق:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ولكن المؤكَّد أنَّ بعض الرهبان الغربيِّين قصدوا الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدها، وتثقَّفُوا في مدراسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ..

ومن أوائل هؤلاء الرُهبان، الراهب الفرنسي «جربرت» Jerbert الذي انتخب بَابَا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلُّمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده.

وبعد أنْ عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلَّفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة « بادوي » العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية – وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذٍ – واستمرَّت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلميَّة والأدبية، حتى جاء القرن الثامن عشر – وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلاَّت في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

ويخطئ من يقول إن الاستشراق حركة علمية، لا هدف لها إلا دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه؛ لأن الاستشراق في الحقيقة والواقع خادم للاستعمار وأهدافه، وهو يتخذ من دراسة التراث الشرقي وسيلة لمحاربة الإسلام، والتشكيك في مصادره ليصرف المسلمين عن دينهم، فلا تتحقق لهم قوة ولا عزة، بل يظلون تابعين للغرب، مقلّدين كل ما في بلاده من ألوان الفساد والانحلال.

إن الاستشراق في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية ضدّ الإسلام وحقائقه الناصعة؛ لأن الحروب الصليبية لم تنته، وإنما اتخذت أشكالا وألوانا مختلفة، منها الاستشراق؛ فالمستشرق يجيء

إلى الإسلام لابسا العلم الظاهر، ومدّعيا البحث عن الحقيقة، ولكنه في الباطن قد عقد النية على جمع المطاعن الملفقة عن الإسلام؛ فلا يلبث أن يرمي الإسلام بكل ما يحمل صدره من غل، وينفث قلمه من سم؛ فهو يتنكر لمنهج العلم الصحيح الذي من شأنه أن يعرض الحقائق، وأن يترك للناس الحكم عليها، دون أن يمزجها بمرارة حقده، ونفثات عداوته، ودون أن يحاول تشويه هذه الحقائق بصورة من الصور.

والمتتبع لحركة الاستشراق يجد أنه مواكب لحركة الاستعمار الغربي لبلاد الشرق والإسلام، مما يدل على أنه امتداد للحروب الصليبية، وشكل من إشكالها، وقد نشطت حركة الاستشراق وبلغت أشدها منذ قرنين من الزمان في صورة حركة تابعة لحركة الاستعمار.

والاستشراق مصدر الفعل (استشرق) أي: اتجه إلى الشرق ولبس زي أهله، وقد اتخذ المستشرقون من دراسة لغات الشرق وسيلة للاتجاه إليه، فدرس كل منهم لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والفارسية والعبرية والسريانية وغيرها، ثم درس بهذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها، وكانت اللغة العربية المطلب المقصود عند الكثير من المستشرقين.

وقد أقبل المستشرقون على دراسة اللغة العربية والتخصص في علومها من نحو وصرف وأدب وبلاغة؛ ليتمكنوا من اللغة، ثم نظروا بعد ذلك في علوم الدين الإسلامي من عقيدة وشريعة؛ لاتخاذ هذه الدراسة وسيلة لتلفيق الأباطيل للتشكيك في حقائق الإسلام، وصرْف المسلمين عن دينهم الذي يهديهم إلى طريق التقدم والعزة؛ فتتحقق بذلك أهداف الاستعمار في مواصلة احتلال بلاد المسلمين.

وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار أن سوق الاستشراق رائجة في أوربا وأمريكا في الدول التي لها مصالح في الدول الشرقية بعامة وفي الدول الإسلامية بخاصة، وأن هذه السوق أكثر رواجا في الدول الاستعمارية التي تحاول غزو الدول الشرقية بأية صورة من صور الغزو والمعروفة في العصر الحديث؛ سواء أكان الغزو عسكريا أم اقتصاديا أم سياسيا أم ثقافيا، بل لا

تكاد توجد سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية في دولة من دول الشرق الإسلامية لا يوجد فيها مستشرق أيّا كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها.

إن ارتباط الاستشراق بالاستعمار وتبعته له جعلت الاستشراق يواصل جهوده في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، ويستعمل كل الأسلحة في حربه؛ لأن هذا الدين الحنيف هو السدّ المنيع الذي يقف في وجه الاستعمار والعبودية لغير الله.

إن المستشرقين يعلمون من دراستهم للإسلام أن العقيدة التي جاء بها ترتكز على أسس ثابتة من الفطرة الإنسانية العامة والمنطق العقلي المستقيم، والنصوص الدينية الصريحة، بحيث لا يمكن لعقول المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا أصلا واحدا من أصولها إذا التزموا منهج العلم الصحيح، ولذلك يحاول الاستشراق منذ نشأته التشويش على دعوة الإسلام بتلفيق الأباطيل، واتخاذ البحث العلمي ستارا يلفقون من ورائه هذه الأباطيل.

وقد صار الاستشراق مظلة لكل أعداء الإسلام من المستعمرين والملحدين وغيرهم؛ فأصبح يستظل بها أصحاب العقائد الفاسدة الباطلة من الشيوعيين وأنصار المذاهب الإلحادية الانحلالية في العصر الحديث، فقد جمع هؤلاء بغضهم للإسلام؛ لأن أساسه التوحيد، وهو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها، ترتكز كلها عليه وتستند في وجودها إليه، وتبتدئ منه وتنتهي إليه؛ فكل رسول افتتح دعوته لقومه بقوله: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} .

من هنا كان الاستشراق هو المطية التي يركبها أعداء الإسلام لعلهم يستطيعون بهذه الوسيلة التشويش على دعوته التي تتفق مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

مدرس المادة
د. عيدان هليل ابراهيم

أهم المحاور التي ركز عليها الاستشراق

محور اللغة العربية وآدابها

موقف المستشرقين من اللغة العربيَّة

لما كانت اللغة العربية تحتل المكانة في تميز الأُمَّة الإسلاميَّة فقد أدرك المستشرقون أهميتها، ووقفوا على أثرها في وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة، ونقل عن (بوستل) قوله عن اللغة العربية: (. . . إنَّها تفيد بوصفها لغة عالميَّة في التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والفرس والأتراك والتتار والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقصهم بمعتقدات التي يعتقدونها، وعن طريق معرفة لغة واحدة العربية يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله)، ويتباهى (بوستل) أنَّه يقطع العالم الإسلامي من أقصى غربه إلى تخوم الصين دون حاجة إلى مترجم، وما ذلك إلَّا لأنه حذق العربية لغة العالم حينذاك.

ويعترف أغلب المستشرقين بأنَّ القرآن الكريم هو سبب عالميَّة اللغة العربية، وللمثال على ذلك ما قاله (كارل بروكلمان): (بلغت العربيَّة بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أيُّ لغة أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم)

ويقول (برنارد لويس): (وقد وجد الطلبة الإنكليز في الهند لدى دراستهم لغات مسلمي الهند ومدنيتهم، أن أبحاثهم وتنقيباتهم تحتم عليهم دراسة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلاميَّة في أيِّ لغة من اللغات).

وانطلاقًا من هذه الحقيقة توافر فئام من المستشرقين على تعلم العربية ودراستها ودراسة علاقتها بالإسلام وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، فبحثوا في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، ونحوها، وصرفها، وأصولها، ومعاجمها، وأطوارها، وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات الساميَّة، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة.

ومن المستشرقين من شارك في المجمعات اللغوية العربية في كل من مصر ودمشق وبغداد وغيرها، وأسهم بجهوده في خدمة تلك المجامع، وتسلَّلَ بعض المستشرقين في هذه المجمعات لنفث سمومه وقوادحه في اللغة العربية وفقًا لقول الشاعر: . . . . . (وداوني بالتي كانت هي الداءُ).

ومهما يكن من جدية هذه الدراسات والبحوث والأعمال التي تصدّى لها أعداد كبيرة من المستشرقين، ومهما يكن لها من إيجابيات فإنَّه قد شاع من بينها شبهات أحاقت باللغة العربية، وكادت أن تقتلها بتضافر تلك الدراسات الاستشراقية مع الخطط الاستعمارية والتنصيريَّة والتغريبيَّة التي جندت أفرادًا من المستشرقين لإشاعة تلك الشبهات على أنَّها مِمَّا يعوق تطور اللغة العربية، وبالتالي فإنَّها عوائق في مسيرة العرب الحضاريَّة.

وللمثال على ذلك ما قاله (دوفرين) في تقرير وضعه عام (١٨٨٢ م): (إنَّ أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامَّة تتعلم الفصحى العربية) ، ولتحقيق تلك السياسات الرامية لزعزعة مكانة اللغة العربية ومكانة موروثها الذي يحتفظ بمقومات المجد الأصيل، ويدخر للأجيال صورًا مشرقة من تاريخهم التي يطمع الغربيون في طمسها، وكان من المستحيل التفكير في إحلال أي لغة أجنبيَّة أو تشجيعها، ولكنه من المعقول في رأيهم التفكير في اللغات العاميَّة العربية وإعطائها فرصة للظهور على مسرح الحياة الثقافية والفكرية، ومن هذا الأمل في نفوسهم بدأت انطلاقة

العاميَّة الأولى؛ لذلك فُتحَتْ المدارس المتخصصة المتشعبة عن الدراسات الاستشراقية في أكثر من بلد غربي لدراسة العاميات الدارجة في شعوب العالم الإسلامي بعامة والبلاد العربية بخاصة، (وركزوا برامج تلك المدارس على التفقه في العاميات خاصة، واستمروا على هذا الحال حتَّى أصلوا دراستها في نفوس عدد كبير من العرب الذين أخذوا مبدأ الاهتمام بالعاميات على أنَّه ثقافات إقليمية، وبدؤوا بنشرها في بلادهم على الطريقة والمنهج الذي سارت عليه مدارس الاستشراق سواء بسواء).

وفيما يأتي إيراد لأهم الشبهات ثُمَّ الرد عليها:

١ – قصور اللغة العربية عن التطور الحضاري وعجزها العلمي.

٢ – صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها.

٣ – ارتفاع مستواها عن فهم الناس.

٤ – التفاوت فيها بين طريقة النطق وطريقة الكتابة.

وحرص المستشرقون القائلون بهذه الشبهات على أن تكون شبهاتهم هذه من المسلمات، ولذلك انتقلوا من مناقشتها في أساسها والبحث العلمي فيها إلى طرح أساليب ووسائل أخرى للخروج بالعربية من تلك الأزمات التي اختلقوها، ومجمل تلك الوسائل والأساليب فيما يأتي:

١ – كتابة اللغة العربية أو العاميَّة بالحرف اللَّاتيني.

٢ – الدعوة إلى العاميَّة، وتقعيدها.

٣ – إهمال الإعراب.

٤ – الدعوة إلى تطوير اللغة والتصرف فيها.

الرد على الشبهة الأولى:

إن رمي اللغة العربية بالقصور وعدم الكفاية العلميَّة تهمة لا تتفق مع حقيقة اللغة العربية؛ لأنَّها لغة حيَّة عمليَّة لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا الجانب في اللغة

العربية: (ولسان العرب أوسع الأسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيٍّ).

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة عالمية اللغة العربية، وأدرجتها في اللغات المعتمدة (كلغة سادسة لشعوب الأرض كافة، يتكلمها ما يزيد على (١٨٠) مليون من العرب، ويقدسها المسلمون؛ لأنَّهَا لغة القرآن الكريم ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم).

ومِمَّا جاء في قرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة الذي اتخذته بالإجماع في دورتها الثامنة والعشرين لسنة (١٩٧٣ م): (إنَّ اللغة العربية أدت دورًا مهمًّا في الحفاظ على حضارة الإنسان وتراثه الثقافي، وفي العمل على نشرهما).

ولئن خرجت اللغة العربية من صراعها مع الاستشراق والاستعمار أو كادت أن تخرج بهذه النتيجة؛ فإنها في حقيقة الأمر اللغة الأولى، ويكفيها شرفًا أنَّ الله اختارها لكلامه المجيد، وما أصدق ما قاله (حافظ إبراهيم) في رده على شبهات المستشرقين وتلاميذهم على لسان اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظًا وغايةً ... وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيقُ عن وصف آلةٍ ... وتنسيق أسْمَاء لمخترعاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدر كامنٌ ... فهل سألوا الغُوَّاصَ عن صدفاتي؟

أما الاعتراف للغة العربيَّة بأنها حافظت على تراث الإنسان، وعملت على نشره، فإنَّ ذلك جزءٌ من الحقيقة، وجزؤها الآخر هو ما أسهمت به اللغة العربيَّة من صنع الحضارة الحديثة في مختلف مجالاتها، وما أضافت من ابتكارات علميَّة ومنهجيّة إضافة لتلك الوحدة السلميَّة الفذَّة بين شعوب المعمورة التي عبَّرَت عنه المستشرقة (زيغريد هونكة) بقولها: (إنَّ كلا الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، بتأثير قوة الشخصية العربيَّة من ناحية، وتأثير الروح الإسلاميَّة الفذَّة من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم).

وأمَّا تخلف الأُمَّة الإسلاميَّة عن ركب الأمم الأخرى في ميادين الصناعة والعلوم، فليس مرجعه إلى قصور في اللغة العربيَّة وعدم كفايتها العلميَّة كما يدعي خصومها من المستشرقين وغيرهم؛ بل يرجع ذلك لعوامل كثيرة. . . منها:

أولًا: وهن الأمَّة. . . كما لحظ ذلك ابن حزم بقوله: (إنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنَّما يفيد لغة الأُمَّة وعلومها وأخبارها قوة دولتهم ونشاط أهلها وفراغهم، وأمَّا من تلفت دولتهم وغلب عليها عدوها، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر، ورُبَّمَا كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهدة معروف بالعقل ضرورة).

وقال أحد المفكرين المعاصرين في هذا المعنى: (الأُمَّة العزيزة تعتزُّ بلغتها، وتحرص على استقلالها كما تحرص على استقلالها العسكري والاقتصادي سواء، وتحترم قوانينها اللغويَّة وتتمسك بها).

ثانيًا: ما قام به الاستعمار في سبيل الحيلولة دون ممارسة اللغة العربيَّة وتغليب لغة المحتل عليها وتشجيع اللهجات العاميَّة، حيث رسم دهاقنة الاستعمار من أمثال: (دنلوب) سياسة التعليم على أساس الحيلولة بين اللغة العربيَّة وبين أن تصبح الأداة الثقافية لأبناء الأُمَّة الإسلاميَّة ولغة العلوم والتقنية؛ (فحلت مصطلحات أجنبية عن دينها ولغتها في جوانب: الحكم، والقضاء، والتعليم، ولغة الحياة العامَّة والسلوك، وغيرها متابعة بذلك سنّة الإبعاد عن كتب الشريعة وفقهها بتحنيط لغتها، وبذلك يستحكم الانفصام بين المسلم وتراثه ليكون رسمًا لا معنى له، وصورة لا حقيقة له).

ولعل من الشواهد المعاصرة على صلاحيَّة اللغة العربيَّة لتدريس كافة العلوم؛ ما يحدث في الجامعات والمعاهد التي اتخذتها أداةً للعلم والمعرفة وأفادت منها، فعلى سبيل المثال مضى على تأسيس كلية الطب في دمشق ما يزيد على سبعين عامًا

وأساتذتها يدرسون الطب باللغة العربيَّة، وقد (أغنوا خزانة الكتب العربيَّة بما لا يقل عن ثمانين مجلدًا في فروع الطب المختلفة).

كما أن كثيرًا من الأساتذة الذين جربوا التدريس بالعربيَّة لا في دمشق وحدها، وإنَّما في القاهرة والرياض وبغداد لم يجدوا عائقًا يذكر من اللغة ذاتها، وإذا كانوا قد اصطدموا بصعوبات فهي خارج الإطار اللغوي، بل (استطاع عدد من المخلصين في هذا العصر أن يثبتوا قدرة اللغة العربيَّة على استيعاب العلوم، فوضعوا عددًا من الكتب العلميَّة تناولت شتى الموضوعات، وقدمت أمثلة لقدرة اللغة العربيَّة على التعبير عن دقائق العلوم).

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في هذا المضمار فإنَّه ينبغي أن تتسم حركة التعريب بالصفة الشموليَّة فلا تقتصر على تعريب الحرف وتنسى مرتكز التعريب، وهي العقيدة الإسلاميَّة وليست القوميَّة العربيَّة، حيث إنَّ العقيدة الإسلاميَّة هي السر في انتشار اللغة العربيَّة وسيادتها، ومن جهة أخرى فإنَّه ينبغي أيضًا الاهتمام بالتعريب كأسلوب حياة، ووسيلة تميُّز يحفظ للأُمَّة شخصيتها وهويتها الذَّاتيَّة في كافَّة ميادين الحياة.

المحاضرة: الخامسة المادة: الاستشراق	أهداف المستشرقين	مدرس المادة د. عيدان هليل ابراهيم

بعد أن تعرفنا على شيء من اعمال المستشرقين يستبد العجب ببعضنا وتعتريه الدهشة لموضوع الاستشراق ويتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة عالم غريب عنه.. يدرس لغاته التي تختلف تماما عن لغته، ويحاول جاهدا فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم؟ ما الذي يحمله على ذلك، وكان في وسعه أن يوجه كل تلك الجهود لدراسة مجالات أوربية أخرى يمكن أن تظهر فيها مواهبه وإمكاناته الفكرية من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العلمية؟ **وكما يقول نجيب العقيقي:** (فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة أو كتابة القصص البوليسية، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين ولعادت عليه برخاء من العيش، وشهرة بين الناس، وسلامة من النقاد).

وقد صرح المستشرق الالماني (رودي بات): (باننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبيه غير صافيه، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، ولكن الأمر بالرغم من ذلك ليس امرا عاديا او من قبيل المصادفة، فاتجاه الاوروبيين لدراسة الشرق واقامه مؤسسة ضخمه لذلك هي مؤسسة الاستشراق، لابد ان تكون وراءه أهداف معينة، يسعى المهتمون بالاستشراق لتحقيقها وبمختلف الوسائل، ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يقف عليها ويشخصها).

ويعرف الهدف أو الأهداف: بأنها الأعمال التي تم تحقيقها باستخدام الوسائل والأساليب المختلفة والمرتبطة بالدوافع أولاً.

ويمكن تلخيص أهم هذه الأهداف بما يلي:

اولاً: الهدف الديني: لقد تشكل الهدف الديني منذ البداية في ثلاثة اتجاهات متوازية هي:

الاتجاه الاول: محاربه الإسلام بالبحث حسب تصور المستشرقين أنفسهم عن نقاط ضعف فيه وابرازها، وبالرغم أن الإسلام دين مأخوذ من اليهودية والنصرانية ومصادر أجنبية أخرى وبالانتقاص من قيمه ودوره في إثراء الثقافة الإنسانية وبالحط من قدر نبيه-ﷺ-.

الاتجاه الثاني: من اتجاهات الهدف الديني للاستشراق حمايه النصارى من خطر الإسلام المزعوم بحجب حقائقه عن الغربيين واطلاعهم على ما فيه من نقائض مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين **يقول السيد محمد رشيد رضا:** (إن رجال الكنيسة لم يجدوا ما يصدون به اتباعهم عن الإسلام بعد ان رأوه قد قضى على الوثنية والمجوسية، وكاد يقضي على النصرانية في الشرق، ثم امتد نوره إلى الغرب، إلا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاغاني في زمن الإسلام ونبيه وكتابه بالإفك والبهتان وفحش الكلام).

الاتجاه الثالث: التبشير والتنصير وهما بمعنى واحد: (وهي حركة غزو فكري تستهدف تحويل المسلمين في بعض الشعوب الافريقية والآسيوية إلى النصرانية والوقوف في وجه انتشار الإسلام في هذه الشعوب).

ومن خلال دراسة بحوث المستشرقين المغرضين وآرائهم حول الإسلام تتجلى أمور أخرى تندرج تحت الهدف الديني اضافة لما ذكر من اتجاهات ومن أهمها ما يلي:

١- منع انتشار الإسلام في اوروبا وغيرها من العالم النصراني حفاظا على سلطة الكنيسة ومفاهيمها، وليس أدل على هذه الحقيقة من الشروط التي أملاها الانجليز على تركيا والتي تعرف بشروط (كرزون) الأربعة التي تحمس لها مصطفى كمال وهي:

أ- ان تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

ب- ان تلغي الخلافة.

ج- ان تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة.

د- انت اختار تركيا لنفسها دستور مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها.

وقد ظل هذا الخوف من الإسلام مرافقا الاستشراق في العصر الحديث **ويقول عن ذلك ادوارد سعيد:** (فقد حمل الاستشراق الحديث في ذاته معالم الخوف الأوربي العظيم من الإسلام وقد زادت ذلك حدة التحديات السياسية في مرحلة ما بين الحربين).

٢- تحويل المسلمين عن دينهم وإشاعة البلبل الاعتقادية والفكرية في صفوفهم لتصير بلادهم لقمة سائغة للغرب، ويصير المسلمون اتباعاً خاضعين لسلطانه.

٣- اقتباس افكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول.

٤- جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم المسلمين الإسلام، ومصدرا للدراسات عن الشرق عامه، فقد صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق.

٥- تحطيم وحدة المسلمين بتحطيم الوحدة الفكرية، واحداث البلبلة بإحياء الخلافات الفكرية للفرق الباطنية منها خاصه؛ والمذاهب المتطرفة والغالية، وذلك بقصد ايقاظ الفتن النائمة، وتمزيق وحدة الامة الإسلامية، بإضعاف روح الاخاء الإسلامي بين المسلمين عن طريق احياء القوميات واثارة كل ما من شأنه منع اجتماع الشمل ووحده الكلمة.

ثانيا أهداف علمية:

وقد كانت مقصد من ظهر في عصر التنوير في اوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية، ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله، ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ولكن هؤلاء كانوا قلة، **وهم مع إخلاصهم لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق،** اما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وبلاغتها، واما لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها، وهذه الفئه أسلم الفئات التي كانت لها أهداف دينية أو علمية مشبوهة أو دينية سياسية وأقل الفئات الأخرى اذا سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ذلك، وهذه الفئه تلقى عنتاً من أصحاب الأهداف الأخرى، حيث تتهم من قبلهم بالانحراف عن المنهج العلمي أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين

والتقرب إليهم كما فعلوا مع (توماس ارنولد) حين أنصف الإسلام في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ومن هذه الفئة من تؤدي دراساته الإسلامية إلى اعتناق الإسلام كالمستشرق الفرنسي (دينه) وغيره.

ثالثا: أهداف تجارية:

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الاولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا ان الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك، من تحقيق فوائد كبيرة على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين فيما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية، ونظرا لأهمية الدين وتأثيره الفعال في الاخلاق والمعاملات فقد اتجه هؤلاء الباحثون لدراسة وكتابة التقارير وتأليف الكتب عنه، ولكن هذه الطائفة كانت ايضا قلة مثل الطائفة السابقة.

رابعا: أهداف سياسية:

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد وان تدرسهم آدابها ودينها، ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة.

خامسا: تربية أجيال جديدة من المسلمين:

هدف المستشرقون والمبشرون إلى خلق أجيال جديدة من المسلمين يتنكرون او يحتقرون كل مقومات الحياة الإسلامية بالتربية الشرقية، وبالمقابل يعظمون كل مقومات الحياة الغربية ويدعون إلى إحلالها واتباعها.

ويؤيد هذا استاذنا الدكتور عرفان عبد الحميد في بيان أهداف الاستشراق فيقول: (إن الاستشراق منهج علمي لقاح من أبوين غير شرعيين التبشير الذي خطط له، والاستعمار الذي غذاه لا يزال يعمل من اجل أهدافهما، وهو تقويض اركان العقيدة الإسلامية وإحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلكه، وتبشر بتعالمه، وتستمد منه هذا الاستمداد الفكري والدعوة هو الهدف الجديد للاستشراق لينتهي الأمر إلى خلق جيل يتنكر لتراث هذه الامة ومثلها في الحياة، والعمل من أجل اجتثاث الجذور التاريخية المقومة لشخصية هذه الامة لتصير إلى حيرة واضطراب فكري وخلاء روحي فيسهل عنده غزو المجتمع الإسلامي بالفكر والمبادئ والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الامة وعقيدتها).

المحاضرة: الخامسة المادة: الاستشراق	أهداف المستشرقين	مدرس المادة د. عيدان هليل ابراهيم

بعد أن تعرفنا على شيء من اعمال المستشرقين يستبد العجب ببعضنا وتعتريه الدهشة لموضوع الاستشراق ويتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة عالم غريب عنه.. يدرس لغاته التي تختلف تماما عن لغته، ويحاول جاهدا فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم؟ ما الذي يحمله على ذلك، وكان في وسعه أن يوجه كل تلك الجهود لدراسة مجالات أوربية أخرى يمكن أن تظهر فيها مواهبه وإمكاناته الفكرية من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العلمية؟ **وكما يقول نجيب العقيقي:** (فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة أو كتابة القصص البوليسية، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين ولعادت عليه برخاء من العيش، وشهرة بين الناس، وسلامة من النقاد).

وقد صرح المستشرق الالماني (رودي بات): (باننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبيه غير صافيه، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، ولكن الأمر بالرغم من ذلك ليس امرا عاديا او من قبيل المصادفة، فاتجاه الاوروبيين لدراسة الشرق واقامه مؤسسة ضخمه لذلك هي مؤسسة الاستشراق، لابد ان تكون وراءه أهداف معينة، يسعى المهتمون بالاستشراق لتحقيقها وبمختلف الوسائل، ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يقف عليها ويشخصها).

ويعرف الهدف أو الأهداف: بأنها الأعمال التي تم تحقيقها باستخدام الوسائل والأساليب المختلفة والمرتبطة بالدوافع أولاً.

ويمكن تلخيص أهم هذه الأهداف بما يلي:

اولاً: الهدف الديني: لقد تشكل الهدف الديني منذ البداية في ثلاثة اتجاهات متوازية هي:

الاتجاه الاول: محاربه الإسلام بالبحث حسب تصور المستشرقين أنفسهم عن نقاط ضعف فيه وابرازها، وبالرغم أن الإسلام دين مأخوذ من اليهودية والنصرانية ومصادر أجنبية أخرى وبالانتقاص من قيمه ودوره في إثراء الثقافة الإنسانية وبالحط من قدر نبيه-ﷺ-.

الاتجاه الثاني: من اتجاهات الهدف الديني للاستشراق حمايه النصارى من خطر الإسلام المزعوم بحجب حقائقه عن الغربيين واطلاعهم على ما فيه من نقائض مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين **يقول السيد محمد رشيد رضا:** (إن رجال الكنيسة لم يجدوا ما يصدون به اتباعهم عن الإسلام بعد ان رأوه قد قضى على الوثنية والمجوسية، وكاد يقضي على النصرانية في الشرق، ثم امتد نوره إلى الغرب، إلا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاغاني في زمن الإسلام ونبيه وكتابه بالإفك والبهتان وفحش الكلام).

الاتجاه الثالث: التبشير والتنصير وهما بمعنى واحد: (وهي حركة غزو فكري تستهدف تحويل المسلمين في بعض الشعوب الافريقية والآسيوية إلى النصرانية والوقوف في وجه انتشار الإسلام في هذه الشعوب).

ومن خلال دراسة بحوث المستشرقين المغرضين وآرائهم حول الإسلام تتجلى أمور أخرى تندرج تحت الهدف الديني اضافة لما ذكر من اتجاهات ومن أهمها ما يلي:

١- منع انتشار الإسلام في اوروبا وغيرها من العالم النصراني حفاظا على سلطة الكنيسة ومفاهيمها، وليس أدل على هذه الحقيقة من الشروط التي أملاها الانجليز على تركيا والتي تعرف بشروط (كرزون) الأربعة التي تحمس لها مصطفى كمال وهي:

أ- ان تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

ب- ان تلغي الخلافة.

ج- ان تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة.

د- انت اختار تركيا لنفسها دستور مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها.

وقد ظل هذا الخوف من الإسلام مرافقا الاستشراق في العصر الحديث **ويقول عن ذلك ادوارد سعيد:** (فقد حمل الاستشراق الحديث في ذاته معالم الخوف الأوربي العظيم من الإسلام وقد زادت ذلك حدة التحديات السياسية في مرحلة ما بين الحربين).

٢- تحويل المسلمين عن دينهم وإشاعة البلبل الاعتقادية والفكرية في صفوفهم لتصير بلادهم لقمة سائغة للغرب، ويصير المسلمون اتباعاً خاضعين لسلطانه.

٣- اقتباس افكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول.

٤- جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم المسلمين الإسلام، ومصدرا للدراسات عن الشرق عامه، فقد صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق.

٥- تحطيم وحدة المسلمين بتحطيم الوحدة الفكرية، واحداث البلبلة بإحياء الخلافات الفكرية للفرق الباطنية منها خاصه؛ والمذاهب المتطرفة والغالية، وذلك بقصد ايقاظ الفتن النائمة، وتمزيق وحدة الامة الإسلامية، بإضعاف روح الاخاء الإسلامي بين المسلمين عن طريق احياء القوميات واثارة كل ما من شأنه منع اجتماع الشمل ووحده الكلمة.

ثانيا أهداف علمية:

وقد كانت مقصد من ظهر في عصر التنوير في اوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية، ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله، ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ولكن هؤلاء كانوا قلة، **وهم مع إخلاصهم لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق،** اما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وبلاغتها، واما لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها، وهذه الفئه أسلم الفئات التي كانت لها أهداف دينية أو علمية مشبوهة أو دينية سياسية وأقل الفئات الأخرى اذا سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ذلك، وهذه الفئه تلقى عنتاً من أصحاب الأهداف الأخرى، حيث تتهم من قبلهم بالانحراف عن المنهج العلمي أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين

والتقرب إليهم كما فعلوا مع (توماس ارنولد) حين أنصف الإسلام في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ومن هذه الفئة من تؤدي دراساته الإسلامية إلى اعتناق الإسلام كالمستشرق الفرنسي (دينه) وغيره.

ثالثا: أهداف تجارية:

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الاولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا ان الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك، من تحقيق فوائد كبيرة على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين فيما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية، ونظرا لأهمية الدين وتأثيره الفعال في الاخلاق والمعاملات فقد اتجه هؤلاء الباحثون لدراسة وكتابة التقارير وتأليف الكتب عنه، ولكن هذه الطائفة كانت ايضا قلة مثل الطائفة السابقة.

رابعا: أهداف سياسية:

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد وان تدرسهم آدابها ودينها، ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة.

خامسا: تربية أجيال جديدة من المسلمين:

هدف المستشرقون والمبشرون إلى خلق أجيال جديدة من المسلمين يتنكرون او يحتقرون كل مقومات الحياة الإسلامية بالتربية الشرقية، وبالمقابل يعظمون كل مقومات الحياة الغربية ويدعون إلى إحلالها واتباعها.

ويؤيد هذا استاذنا الدكتور عرفان عبد الحميد في بيان أهداف الاستشراق فيقول: (إن الاستشراق منهج علمي لقاح من أبوين غير شرعيين التبشير الذي خطط له، والاستعمار الذي غذاه لا يزال يعمل من اجل أهدافهما، وهو تقويض اركان العقيدة الإسلامية وإحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلكه، وتبشر بتعالمه، وتستمد منه هذا الاستمداد الفكري والدعوة هو الهدف الجديد للاستشراق لينتهي الأمر إلى خلق جيل يتنكر لتراث هذه الامة ومثلها في الحياة، والعمل من أجل اجتثاث الجذور التاريخية المقومة لشخصية هذه الامة لتصير إلى حيرة واضطراب فكري وخلاء روحي فيسهل عنده غزو المجتمع الإسلامي بالفكر والمبادئ والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الامة وعقيدتها).

مدرس المادة
د. عيدان هليل ابراهيم

أهم مدارس الاستشراق ومناهجه

دخل في ميادين الاستشراق عناصر مختلفة الغايات والأهداف، على الرغم من أن ساحة عمل الجميع واحدة لكن باستطاعتنا أن نلاحظ أنه قد أصبح للاستشراق عدة مدارس، كل مدرسة لها أهداف تنسجم مع المذهب الفكري، أو المذهب الديني الذي يتبعه المنتسبون إليها، وباستطاعتنا أن نقسم هذه المدارس إلى ما يلي:

أولًا: المدرسة النصرانية: وهي تنقسم إلى فرعين الكاثوليكية والبروتستانتية، وهذان الفرعان يلتقيان في الأعمال والأهداف، وإن اختلفا في بعض الآراء المذهبية.

ثانيًا: المدرسة اليهودية: وهذه المدرسة ذات أهداف خاصة تخدم مخططات اليهودية العالمية، مهما لبست في البيئات التي تكون فيها من ألبسة نفاق تُمالئ فيها هذه البيئات، ومهما سترت وجهها الحقيقي بأقنعة مزورة.

ثالثًا: المدرسة الإلحادية العامة: والمنتمون إلى هذه المدرسة هم المستشرقون الملحدون من الغرب، وتتلخص أهدافهم بنشر الفكر الإلحادي وإقامة مفاهيم الحياة على المادية التي تنكر وجود الله –عز وجل، وهم موزعون في مختلف المذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

رابعًا: المدرسة الإلحادية الشيوعية: والمنتمون إلى هذه المدرسة هم المستشرقون الشيوعيون الذين يسعون إلى نشر أهدافهم بنشر الإلحاد والشيوعية معًا، واستدراج شعوب الأمة الإسلامية إليهما.

سمات منهاج المستشرقين في البحث:

إن موقف المستشرقين في دراساتهم عن الإسلام لا يتسم بالموضوعية ولا النزاهة، بل إننا من خلال اطلاعنا على بحوثهم ودراساتهم، وجدنا أن بحثهم العلمي اتسم بإساءة الظن والتشويه والتحريف والجهل والتحكّم في المصادر، بل والتحكّم بالنتائج قبل إجراء الدراسة.

ويرحم الله الدكتور السباعي فلقد فصّل جميع الظواهر التي يوصف بها منهاج الاستشراق، وأنا بدوري أوردها كاملة كما ذكرها:

١- سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢- سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور - وخاصة في العصر الأول - بأنه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.

٤- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير؛ تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.

٥- الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.

٦- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم بما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

٧- تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان، تحريفاً مقصوداً، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

٨- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب: ((الحيوان)) ، ويكذبون ما يرويه الإمام مالك في ((الموطأ))، كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق.

٩- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمحدود والمغلوط الذى يجهل حقيقة الإسلام .

١٠- تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها، وذلك منهج معكوس وليد الهوى.

١١- اعتمادهم على الضعيف، والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها.

١٢- تحريف النصوص، ونقلها نقلاً مشوهاً، وعرضها عرضاً مبتوراً ، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً لتحريفه.

١٣- غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعي، حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته.

١٤- إبراز الجوانب الضعيفة، والمعقدة، والمتضاربة، كالخلاف بين الفرق، وإحياء الشبه، وكل ما يفرق، وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها.

١٥- الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وليدة التعصب، وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو المرة، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم.

وكثيراً ما نسمع المستشرقين يكثرون من القول: إن التحقيق والموضوعية والتحرر منهجهم في كل ما يبحثون لا فرق في ذلك عندهم بين عدو وصديق أو بين قريب وبعيد، ويكثرون من القول أيضاً: أنهم يدرسون العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ... هكذا يدعون!

والحق أنهم بعيدون كل البعد عن البحث العلمي النزيه ولا يمتون إليه بصلة، ويستوى في هذا سائر المدارس الاستشراقية.

ولا أدرى كيف يكون منهج الاستشراق اللاهوتي الوليد من عصبية وحقد النصارى للإسلام ولأمتنا الإسلامية – لا أدرى كيف يكون نزيهاً ومحايداً في دراسته للإسلام ... ؟! وحتى بعد تطوره في العصر الحديث إلى استشراق علماني استعماري لم يتخل عن العصبية الدينية، وإن لم تطغ هذه العصبية طغيانها قديماً فهو استشراق استعماري طامع في خيرات هذه الأمة حاقداً عليها ولا أمل له في السيطرة على هذه الأمة إلا بإضعاف عقيدتها بدينها وبتاريخها وحضارتها ولا يكون ذلك إلا بالاستشراق اللاهوتي التبشيري، وكذلك حال الاستشراق اليهودي في منهجه، كانت تحركه نزعتين:

إحداهما دينية: تحمل أشد العداوة والحقد للإسلام والمسلمين.

وثانيهما سياسية: تحمل في داخلها حلم إعادة مملكة سيدنا داود عليه السلام في فلسطين وحكم العالم أجمع.

والبحث العلمي النزيه لا صلة له إطلاقاً بما يكتبون عن الإسلام والمسلمين؛ لأنهم وهم يكتبون لا يتخلون أبداً عن أهوائهم وحقدهم الدفين ضد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وأمته التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وحتى لو فرضنا أن هذا لا يكون في نفوس بعضهم حين يكتبون عن الإسلام، فإنه مما لا شك فيه يكون في نفوسهم الطمع في خيرات هذه الأمة، وهذا يحملهم أيضاً على التحامل على الإسلام، وصدق رب العزة في بيان نزعتهم الدينية في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

وصدق رب العزة في بيان نزعتهم الاستعمارية في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

والمستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام لن يتخلوا أبداً عن هاتين النزعتين الدينية والاستعمارية، لأن التحول عنهما، إنما يعنى التحول إلى الإسلام، وهذا التحول إلى الإسلام يعنى في الوقت نفسه التحول عن الاستشراق وأهدافه الخبيثة، وهذا ما حدث بالفعل لبعض المستشرقين ممن أكرمهم رب العزة بالإسلام وهداهم إليه.

مدرس المادة
د. عيدان هليل ابراهيم

أهم المحاور التي ركز عليها الاستشراق

محور الدين الإسلامي كشريعة

١- موقف المستشرقين من النبي والقرآن الكريم:

يرتبط موقف المستشرقين من القرآن الكريم بموقفهم من نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم يقفون من النبي موقف الإنكار المطلق، وقد ينكر بعضهم أصل النبوة أساسا ولا يعترف بها إطلاقاً، لأي من أنبياء الله ورسله، وهذا الإنكار يترتب عليه القول بأن محمداً ليس نبياً، وبالتالي فإن القرآن حسب زعمهم لا يكون وحياً من السماء، وإنما هو من عند محمد ومن وَضعِهِ هو، وليس كتاباً إلهيًّا ولا وحيًا سماويًّا.

ومعلوم أن الإيمان بالنبي أو النبوة أصل من أصول الاعتقاد التي لا تقبل الشك، يؤمن بها كل مسلم إيماناً جازماً كإيمانه بالله، وهي المفتاح الحقيقي لتقبل كل ما جاء به الوحي والإيمان به.

والنبوة في جوهرها إنباءِ الله عبداً من عباده بشرع ما، فإن أمرهُ بتبليغ هذا الشرع إلى الناس كان رسولاً نبياً، وإن لم يأمره بالتبليغ كان نبياً فقط، والنبوة في جوهرها اصطفاء ووهب وعطاء من الله، وليست كسباً ولا اجتهاداً كما يرى بعض الفلاسفة، وما بَلَّغَتهُ الرسل من الله نزل به الروح الأمين على قلب محمد وغيره من الرسل ليكونوا من المُنذِرين به، فنزل القرآن بالعربية، والإنجيل بالسريانية، والتوراة بالعبرية؛ تحقيقا لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾، وهذا الوحي ليس فيضاً من العقل الفعال كما تدعى الفلاسفة، وليس إلهاماً ولا إبداعاً لعبقرية محمد كما يقول بعض المستشرقين، إنما هو وحي من الله على قلب الرسل بواسطة ملك الوحي جبريل -عليه السلام- فهو من عند الله بلفظه ومعناه.

والمستشرقون يرون القضية عكس ذلك تماماً؛ فهم أولاً لا يؤمنون بنبوة محمد ولا يعترفون بها.

١- فهو عند البعض أحد عباقرة العالم العشرة.

٢- وعند البعض الآخر أحد الأبطال العظماء.
٣- وعند آخرين ناقل ذكي من كتب الأولين.
٤- أو متعلم من رهبان النصارى قد أجاد في تعلمه عنهم.
٥- أو أحد المشعوذين وطلاب الرياسة والزعامة.. وهكذا يقولون في حق نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وإذا أرادوا شيئاً من الإنصاف قالوا: إنه جاء ليدعو إلى الاشتراكية وليس إلى عقيدةٍ دينيةٍ جديدةٍ، ومن هذه الأقوال:

أ- يقول هويرت جريمي مستشرق ألماني في كتابه: ((محمد)): (لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد بل إنما كان يدعو إلى الاشتراكية، ثم يقول: فالإسلام في صورته الأولى لم يكن يحتاج إلى أن نُرجعهُ إلى ديانةٍ سابقةٍ تفسر لنا تعاليمه، بل هو محاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إزالة الفوارق الصارخة بين الأغنياء والفقراء، لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته).

ب- بينما يرى المستشرق الإنجليزي (جب) في كتابه: ((المذهب المحمدي)): (أن محمداً ككل شخصية مبدعة قد تأثرت بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديدًا بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدوائر في المكان الذي نشأ فيه.. ومحمد نجح؛ لأنه كان واحدًا من المَكِيين، ومعارضة المَكِيين له لم تكن من أجل تمسكهم بالقديم، أو بسبب عدم رغبتهم في الإيمان؛ وإنما كانت لسبب سياسي أو اقتصادي، فالمستشرق (جب) يفسر موقفه من نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم-، فيرى أن الظروف المكية هي التي جعلت من محمد زعيماً سياسيًّا، وأعطته الفرصة لكي يظهر في وسط قومه المَكِيين بهذه الصورة وإن يتلف حوله فقراء مكة طلباً للإنصاف من الأغنياء.

ج- وهناك نمط آخر من المستشرقين يرون أن محمداً- صلى الله عليه وسلم- قد حلت به حالة نفسية؛ أدت به إلى نوع من التأمل الذاتي في السماء وما فيها من

نجوم، وساعد على تألق هذا النوع من التأمل، وعالمه الطبيعي الموحش من الجبال وما حولها، وما تثيره في النفوس من حالات الهلع والتأمل الذاتي.

وعلى مثل هذا النحو من الفهم عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان موقف المستشرقين من النبي، فهم ينكرون رسالته جملةً وتفصيلاً، وهذا بالطبع سوف ينسحب على موقفهم من القرآن الكريم ومن مصدره الإلهي.

يقول (غوستاف لوبون): يجب اعتبار محمد من فضيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات، ولا تعجب لذلك؛ فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤون الديانات، ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول.. وقادوا البشرية.

ولقد وضع هذا المستشرق كتابه عن ((حضارة العرب))، وصرح فيه بآراء وأفكار تدل على جهله بالوحي والنبوة وطبيعة الحضارة الإسلامية، وبطبيعة الحياة الخاصة للرسل، فهو يتهمه بالشهوانية في حياته الزوجية، ويترتب على هذا الاتهام مجموعة من الأحكام التي تدل على جهله بخصوصيات الرسول، ويجعل القرآن دليلاً على عبقرية الرسول وإبداعهِ أو يضعه في مكانةٍ أدنى من كتب الهندوس الدينية، ويرى أنه كتاب مؤقت بعصره لا يحقق حاجات الناس في عصور لاحقة، بل يجعله السبب في تخلف المسلمين.

د- أما جولد تسيهر فقد وضع كتابه عن ((مذاهب التفسير الإسلامي))، ونسب فيه المعرفة التي تلقاها محمد عن مصدرين؛ إذ يقول: فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية؛ عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية، التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه، عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية، كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله؛ ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً عميقاً، وأدركها بإيحاء التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهيّاً.

هـ- ويسير في نفس الاتجاه (بلاشير) في كتابه: ((معضلة محمد))؛ حيث يرى أن التشابه الواقع بين قصص القرآن وقصص التوراة والإنجيل؛ كان سبباً في القول بأن محمداً أخذ القرآن عن هذين المصدرين.

وأما (نيكلسون) فقد ركز اهتمامه على دراسة التصوف الإسلامي؛ ليثبت به أن محمداً- صلى الله عليه وسلم- أخذ القرآن عن مصادر متعددة، لكن أهمها هي المسيحية، ويتهم القرآن بالتناقض والتضارب الذي لم يستطع أهل مكة اكتشاف ما فيه من تناقض؛ لسذاجتهم وعدم قدرتهم، يقول نيكلسون: (والقارئون للقرآن من الأوربيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه، وهو محمد، وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات، وهو نفسه – محمد- لم يكن على علم بهذه المعضلات، كما لم تكن حجر عثرة في سبيل صحابته، الذين تَقَبَّلَ إيمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله، كما يتهم الرسول في هذا الكتاب – الصوفية في الإسلام- بأنه حرف النصرانية وأساء فهمهما.

هذه هي نظرة المستشرقين للقرآن من ناحية مصدره، فالقرآن عندهم ليس إلهياً ولا ربانياً، وإنما هو بشري من صنع محمد، وإن ما جاء فيه من قصص توافق ما جاء في التوراة والإنجيل فإنه قد أخذها عن هذين المصدرين بتحريف وإساءة فهم.

ومعلوم لدى كل مسلم أن الإيمان بالقرآن، وأنه كلام الله تعالى منه بدأ، وإليه يعود، أصل من أصول الاعتقاد، ولا ريب في ذلك لدى كل مسلم، وأنه بلفظه ومعناه من الله، نزل به الروح الأمين على قلب النبي حسب الحوادث وما تحتاجه من حلول لما أشكل فيها.

٢- مناقشة هذه الآراء:

أولاً: ليست الدعاوى التي يفتريها المستشرقون في حق نبي الإسلام، وفي حق القرآن الكريم بجديدة على المثقف المسلم، ولا أريد في هذه الدراسة الموجزة أن أتعرض بالرد التفصيلي على ما أثاره المستشرقون من شبهات وشكوك حول الإسلام، كما أن المعاندة أو المجادلة بقصد الغلبة ليست هدفاً مقصوداً لنا في هذه الدراسة؛

لأن ديننا ونبينا الذي يفترون عليه كذباً وبهتاناً ينهَوْن عن ذلك، ويأمرون أن نقول للناس حسنى، وألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وأن نؤمن بأن الأنبياء جميعاً دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، كما أخبر بذلك الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ومن هنا فإننا ننبه إلى عقيدة كل مسلم في نبي الله عيسى وموسى وجميع الأنبياء، فينبغي ألا نقول في حق نبي الله عيسى إلا كما قال القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، ولا تتكلم في حقه -عليه السلام- بأفضل مما تكلم هو في حق نفسه حيث قال: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وأنه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾، وأنه: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾.

هذه هي عقيدة المسلمين في نبي الله عيسى، وكذلك يؤمن المسلمون بأن ما نزل على عيسى من ربه هو الحق، ولا نقول في حقه إلا كما قال القرآن على لسان عيسى حين قال: إني عبد الله أتاني الكتاب: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، وأن هذه الكتاب الذي أنزل على عيسى قد صدقه القرآن، وبين أنه وقع فيه التحريف على أيدي النصارى، وأن الكتب التي بأيدي النصارى اليوم وما يتعبدون به لا تمت بسبب إلى الكتاب الذي نزل على عيسى- عليه السلام-.

وكذلك يعتقد جميع المسلمين بعفاف مريم وطهارتها، وأنها صديقة اصطفاها الله تعالى كما قال ربنا: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾.

هذا هو اعتقاد كل مسلم في حق عيسى وفي حق أمه البتول الطاهرة، وفي حق الكتاب الذي أنزل عليه، ولا يصح إيمان المسلم إلا بذلك، وأن الكتاب الذي أنزل على عيسى جاء مبشراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وأن هذا النبي قد ذكرته التوراة باسمه صراحة، وأن الإنجيل قد ذكره بوصفه في أكثر من موضع.

هذه أصول اعتقادية يؤمن بها كل مسلم، ولا يفرق في ذلك بين أحد من أنبياء الله ورسله، ولا يُقبل من المسلم إيمانه إلا بذلك.

ونحن كمسلمين يفرض علينا ديننا أن نعلن براءتنا مما افتراه اليهود في حق عيسى عليه السلام، ونعلن براءتنا مما افترته اليهود في حق أمه مريم، وأن اتهام اليهود لمريم بهتان عظيم نبرأ إلى الله منه؛ لأن الله قد طهرها، واصطفاها على نساء العالمين، والإيمان بطهارتها وعفتها عقيدة إسلامية.